واستمر على هذا المنوال عدة أيام، حتى «اليوم الحادي عشر» إذ أقبل على المسلمين أبو عبيدة ومعه خالد وعبد الرحمن بن أبي بكر، ومعهم «فرسان المسلمين وأبطال الموحدين» مما ألقى الجزع في قلوب أهل إيلياء[22]. واستمر الحصار أربعة أشهر، ما من يوم إلا وجرى فيه قتال شديد «والمسلمون صابرون على البرد والثلج والمطر»[23]، إلى أن يئس الروم من مقاومة حصار المسلمين لمدينتهم، فقرر بَطْرِيقُهم (البطريق صفرونيوس) القيام بمحاولة أخيرة، وكتب إلى عمرو بن العاص، قائد جيش المسلمين، رسالة يغريه فيها بفك الحصار نظراً لاستحالة احتلال المدينة.

ج ـ الاستسلام:

يذكر الطبري أن أرطبون الروم كتب إلى عمرو يقول: «إنك صديقي ونظيري، أنت في قومك مثلي في قومي، والله لا تفتتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين، فارجع ولا تغرّ فتلقى ما لقي الذين قبلك من الهزيمة»[24]. فكتب إليه عمرو كتاباً يقول فيه إنه «صاحب فتح هذه البلاد»، وأرسل الكتاب مع رسول وأمره أن ينقل إليه رد الأرطبون، فلما قرأ الأرطبون كتاب عمرو ضحك مما جاء فيه وقال إن صاحب فتح بيت المقدس هو رجل اسمه «عمر»، ونقل الرسول إلى عمرو ما سمعه من الأرطبون، فعرف عمرو أن الرجل الذي يعنيه الأرطبون هو الخليفة[25]. فكتب إلى الخليفة يخبره بما جاء على لسان الأرطبون أنه لا يفتح المدينة إلا هو، ويستمده، ويستشيره قائلاً: «إني أعالج حرباً كؤوداً صدوماً وبلاداً ادُّخرت لك، فرأيك»[26] فخرج الخليفة، في مدد من الجند، إلى الشام، بعد أن استخلف على المدينة علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، ونزل بالجابية، فجاءه أهل إيلياء، «فصالحوه على الجزية، وفتحوها له»[27]. (انظر الخارطة رقم 1).

---

(22) م. ن. ج 1: 215 ـ 216.
(23) م. ن. ج 1: 217.
(24) الطبري، المصدر السابق، ج 3: 606.
(25) م. ن. ص. ن.
(26) م. ن. ج 3: 607.
(27) م. ن. ص. ن.